النص الأدبي وقضايا البلاغة

مفاهيم أولية : مصطلح النص الأدبي و قضايا البلاغة

النص لغة :

للنص في المعاجم العربية استعمالات متعددة ، ففي لسان العرب : النص : رفعك الشيء و نص الحديث ينصهُ نصا : رفعه وكل ما أظهر فقد نص[1] ، وفي القاموس المحيط : نص ناقتهُ : استخرج أقصى ما عندها من السير ، و الشيء : حركه[2] ، يقول الزمخشري[3] : ومن المجاز نص الحديث الى صاحبه ، يقول طرفة :

ونص الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصه

ويمكن أن نحصر المعاني اللغوية للنص الواردة في المعاجم العربية في معان أساسية هي : الإظهار و الرفع و الانتهاء وضم الشيئ الى الشيئ ، وقد استنتج صبحي ابراهيم الفقي ارتباط هذه المعاني بما يقوله المتحدث أو يكتبه الكاتب قائلا : (الرفع و الاظهار يعنيان أن المتحدث أو الكاتب لابد من رفعه و إظهاره لنصه لكي يدركه المتلقي وكذلك ضم الشيئ في

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، ج7، ص98 وما بعدها

[2] – الفيروزز أبادي، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، – بيروت ، الطبعة الثامنة 1426هـ ، 2005 م ، ص 632 .

[3] – الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى – 1419 هـ ، 1998 م ، ج 2 ، ص 275 .

اللغة ، نلاحظ أن النص في كثير من تعريفاته هو ضم الجملة الى الجملة بالعديد من الروابط وكون النص أقصى الشيئ ومنتهاه ، هو تمثيل لكونه أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول اليها [4]

النص في الاصطلاح :

لعل أول من وضع تعريفا اصطلاحيا للنص هو علماء أصول الفقه فالشافعي رحمه الله يعرف النص بأنه : المستغنى فيه بالتنزيل عن التفسير[5] أي أن النص هو مايفهم منه المعنى المحدد الذي أنزل به ولا يتعداه الى معان اخرى ، ويعرفه الشريف الجرجاني بقوله : النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى فإذا قيل أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي كان نصا في بيان محبته ، وما لا يحتمل إلا معنى واحدا ، وقيل ما لا يحتمل التأويل [6]

أما جهود النقاد العرب القدامى في تعريفهم للنص ، فهي متنوعة بحسب مناهجم و مدارسهم النقدية و البلاغية و ليس بوسعنا أن نحدد تعريفا واحدا للنص عندهم ، لكن يمكن أن نشير الى أنهم يدعونه مرة بالنص و مرة بالنظم و مرة عمود الشعر و قد أدرك الجرجاني بعد إلمامه بجهود العلماء قبل مفهوم النص بدراسته لخواصه النظمية التي تتألف من عدة عناصر لغوية و بلاغية و نحوية و جمالية و كلها تسهم في تحديد هوية كل نص أدبي ، و ربما كان المرزوقي قد حقق خطوة عملية للاحاطة بمكونات النص و لاسيما النص الشعري مستفيدا من الجرجاني و من غيره من النقاد في تحديد مفهوم النص الشعري خاصة عندما حصر خصائصه فيما دعاه عمود الشعر و التي

---

[4] - محمد باديس ، مفهوم النص و قراءته في الفكر العربي البمعاصر رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور عبد الوهاب ميراوي ، جامعة أحمد بن بلة – وهران 1438 *- 1439 هـ – 2016 – 2017 م ، ص 3

[5] – الشافعي ، الرسالة ، تح احمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1358 هـ – 1940 م ، ص 14 .

[6] – السيد الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، تحقيق و دراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، د . ط ، القاهرة ، ص 202 و 203 .

يجملها في قوله: "إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه والمستعار له، ومشاكله اللفظ للمعنى، وشده اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار[7]

فأنت ترى كيف استطاع هذا الناقد أن ينفذ ببصيرته النقدية الى مكونات النص الشعري الفنية و الجمالية فكأن هوية كل نص تتحدد بقدر ما يتوفر عليه من هذه العناصر أو بعضها و أنت ترى أيضا أن الجهود النقدية في التراث العربي كانت منصرفة إلى أمرين هما القرآن الكريم و الشعر فكأن نصية النص تدرك من خلال هذين الرافدين الكبيرين للنقد و الفكر الاسلاميين

في المعاجم الغربية :

ترد كلمة TEXTE مقابلة لكلمة النص في العربية لكنها لا تطابقها معجميا وذلك أن كلمة TEXTE تنتمي الى العائلة اللغوية لكلمة TEXTILE وهي مأخوذة من الكلمة TEXTE وتعني النسيج أي المنسوج و يظهر أن كلمة نص بالعربية وكلمة نص باللغة الأجنبية يختلفان في الوضع الأصلي أو المعنى المركزي الذي اتفق عليه أهل اللغة ، فكلمة نص بالفرنسية مثلا يرتبط بعملية النسج ، أما في العربية فهي أوسع دلالة منها مع الاشارة الى أن كلمة TEXTE في الفرنسية مثلا تدل على معنى النص دلالة مجازية في حين أن كلمة نص في العربية تحمل دلالات حقيقية ودلالات مجازية.

النص في النقد الأدبي الحديث :

[7]- انظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، القاهرة، نشره: أحمد أمين وعبد السلا، هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1951م، ج1، ص 9.

قد تطورت دلالة هذا المصطلح ولم يعد تحديده متعلقا بدرجة دلالته لأنه أصبح مفتوحا على عدة دلالات قابلة لقراءات مختلفة و تأويلات غير منتهية و تعددت تعريفاته وعدت له نظرياته و يعود ذلك الى المناهج القرائية المتعددة .

فمن تعريفاته الحديثة أنه المجموعة الواحدة من الملفوظات أي الجمل الخاضعة للتحليل , فالنص اذن عينة من السلوك اللساني وهذه العينة يمكن أن تكون مكتوبة أو محكية .[8]

و يعد تعريف النص من الإشكاليات النقدية في علم النص ، و لم تستقر اتجاهات البااحثين في شأنه على تعريف واحد ، و لعل ذلك يعود إلى تداخل العلوم و نزوح المصطلحات من علم إلى آخر كعلم اللغة و علوم أخرى كعلم الوراثة و علم الإجتماع و الفلسفة [9]، و نحن نذكر هنا بعص التعريفات على سبيل التمثيل لا الاستقصاء :

يعرف الدكتور طه عبد الرحمن الذي النص بأنه "بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات. وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين أو بين أكثر من جملتين .

ويعرف سعيد يقطين النص بأنه:" بنية دلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية)، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة

و يعرفه محمد عزام بقوله : وحدات لغوية، ذات وظيفة تواصلية – دلالية، تحكمها مبادئ أدبية، وتنتجها ذات فردية أو جماعية .

و نشير في الأخير إلى أن النقد العربي المعاصر يرتكز في هذه التعريفات على النقاد الغربيين بشكل كبير ، و هذا له مجال آخر من الدراسة .

---

[8] - محمد باديس ، مفهوم النص و قراءته في الفكر العربي البمعاصر رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور عبد الوهاب ميراوي ، جامعة أحمد بن بلة – وهران 1438 *- 1439 هـ – 2016 – 2017 م ، ص6 ، و انظر : محمد مفتاح ، التشابه و الاختلاق ،- المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 1969 ، ص 34 .

[9] - المرجع السابق ، ص 21 .

إشكالية المنهج و طبيعة المقاربات

يعد المنهج في دراسة النص الأدبي آلية ضرورية في قراءة ذلك النص ولكن المنهج في الدراسات العربية المعاصرة يمثل اشكالية لأنه من جانب هو الأساس الذي تبنى عليه نظرة الدارس الأدبي ومن جانب آخر قد يتحول الى عقبة أمام الوصول الى قراءة منتجة . فليس"المنهج إلا الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بوساطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل،وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة، (...)ويبرهن على صحتها أو فسادها,ومن تم فان الصورة المنهجية لأي علم من العلوم لا تتحقق ما لم تهدف إلى وجود:

- خطة تهدف إلى الكشف عن شئ ما.
- إقامة البراهين على صحة ما قدمته الخطة أو خطأه.

لقد أصبح الحديث عن النص حديثا غير ذي جدوى اذا لم يقترن بالمنهج لما له من أهمية في مجال الممارسة والتطبيق. غير أن المتتبع للموضوع يتبين أن مكانة المنهج في المشهد الابداعي المعاصر تختلف قليلا عن مكانته في التراث النقدي القديم [10] و السؤال المطروح : ماهو المنهج الملائم لدراسة الشعر العربي القديم ؟ يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: "إن النص الأدبي كيان لغوي منبثق عن كيان ثقافي وحضاري(...)،إن تداخل النص الأدبي القديم مع سائر فنون المعرفة في التراث العربي الإسلامي ظاهرة بارزة في ثقافتنا،وسمة واضحة من سماتها,وهو ما جعل النص الأدبي منفتحا على فضاءات معرفية رحبة,منبثقا عن تراكم علمي وثقافي يجعل منه نصا غنيا بالإحالات,مليئا بالإيحاءات, قابلا لتعدد القراءات, يستعصي

[10]- محمد الأمين المؤدب ، معالم و عوالم في بلاغة النص الشعري القديم – مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر، ص 18 .

اقتحامه على القراءة الانطباعية السطحية, ويستوجب قراءة دقيقة واعية,ولن تكون القراءة كذلك إلا إذا كانت محيطة بكل معطياته ومكوناته,مدركة لمصادر ولادته,ولن تفلح في ذلك إلا إذا كان القارئ يمتلك أدوات هذه القراءة وضوابطها التي تمنعها من العشوائية، والتسيب والافتراء على النص، أو تحميله ما لا يطيق من الدلالات.فالقراءة الواعية للنص الأدبي القديم، هي تلك التي لا تفصل بينه وبين باقي عناصر التراث ومجالاته باعتباره يتفاعل معها وتتفاعل معه.[11]

وليس بوسعنا أن نحدد منهجا واحدا زاعمين أنه معصوم و شاف لكل مايطلب من الدارس للشعر العربي فنحن نعلم أن هذا الشعر كان عرضة للتجني من بعض الدارسين المعاصرين بقصد أو غير قصد ، وما يزيد الأمر حدة أن النقد العربي المعاصر أصبح ميدانا فسيحا لرؤى كثيرة متباينة المشارب و منقولة عن حضارة الآخر ، ولذلك وجد من الدارسين العرب مني يدعوا الى إعادة النظر في ذلك الشعر مقترحا آليات جديدة وقراءات معاصرة مستعينة بعلوم اللغة والاجتماع وعلم النفس وغيرها من المناهج ، لقد شعر بعض النقاد العرب بالأزمة وهم يواجهون النص الشعري القديم فعبر وهب رومية عن هذا قائلا :إننا أمام ثقافة مأزومة لم تتجاوز شرطها التاريخي بعد .[12]

---

[11] – د.إبراهيم نادن : الوعي بإشكالية المنهج في الدراسات النقدية العربية المعاصرة: التشخيص وآفاق الحلول ، مقال نشر في: مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد 37 الصفحة 89. العام الخامس – العدد 37 – يناير – 2018 .

[12] – محمد الأمين المؤدب ، مرجع سابق ص 18 ،وهب رومية شعرنا القديم و النقد الجديد – سلسلة عالم المعرفة

وجدير بالذكر أن هذا الاشكال لم يكن مطروحا في بداية تعاملنا مع المناهج بنفس الحدة التي يطرح بها اليوم لأن العناية بالتطبيق كانت أهم عندهم من النظر في المنهج مثال ذلك : جهود الدكتور طه حسين في النقد وهو ولم يكتب في النظرية النقدية الا القليل [13].

تمثل جهود بعض الدارسين العرب مقاربات منهجية تنطلق من النص نفسه مثل كتاب : الشعر الجاهلي ، وحديث الأربعاء ، ومع المتنبي لطه حسين ، والشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه للنويهي ، وتطور الغزل بين الجاهلية والاسلام لشكري فيصل ، والمتنبي لمحمود شاكر ، وهناك من الدارسين من دعا الى انتهاج المنهج المتكامل أو المنهج التوفيقي وهو لايتقيد بواحد من المناهج المختلفة بل يتناول العمل الأدبي من جميع زواياه ، زاوية المبدع و زاوية النص والسياق ومن المؤلفين الذين دعوا الى هذا المنهج سيد قطب في كتابه النقد ، الأدبي ، يقول سيد قطب : قد يرى القارئ بادئ ذي يدء أني آثرت المنهج الفني على المنهجين التاريخي و النفسي ، لكنه حين ينتهي من قراءة الكتاب سيرى أن المنهج المختار هو المنهج المتكامل الذي ينتفع بهذه المناهج الثلاثة جميعا ، و لا يحصر نفسه داخل قالب جامد أو منهج واحد .[14]

المدارس البلاغية : عوامل وجودها ، مصادرها ، مناهجها

من المعلوم أن التأليف في العلوم عند المسلمين لم يبدأ إلا بعدما جمع القرآن أخذ مجراه الطبيعي في حياة المسلمين تلاوة ووضعا للأصول التي تحكم قواعد الشريعة ، وقد كان المسلمون يدركون بلاغة القرآن بفطرتهم العربية السليمة في أول الأمر ولكن طرأ في تاريخ

---

[13] – أكثر مؤلفات الدكتور طه حسن في النقد الأدبي تطبيقية من أشهرها على سبيل التمثيل : في الشعر الجاهلي ، مع المتنبي و غيرها ، انظر : محمد الأمين المؤدب : معالم و عوالم ، ص 19 .

[14] – سيد قطب ، النقد الأدبي أصوله و مناهجه ، دار الشروق ، ط 6 ، 1410 هـ – 1990 م ، ص 8 .

الأمة العربية قضايا و تحديات دفعت العلماء للنظر في القرآن الكريم بمنهج جديد ، ومن التحديات : دخول غير العرب إلى الإسلام وظهرت الفلسفة و غيرها من العلوم وكانت تطرح أسئلة وعلى القرآن أن يجيب م من هنا كانت الحاجة ماسة لدراسة مظاهر الإعجاز في القران الكريم و كان ذلك مدعاة للنظر في الشعر العربي لاكتشاف مواطن البلاغة فيه و معارضتها باسلوب القرآن و من هنا صار البحث في البلاغة أحد علوم القرآن بوجه من الوجوه ، و قبل أن نلم بالمدارس البلاغة علينأ ن نعرج على تعريف البلاغة ذاتها .

أقوال في البلاغة : [15]

وردت في تعريفها أقوال كثيرة عن القدماء لايريدون بها التعريف الإصطلاحي و إنما يريدون التنويه بفضلها و الإشارة إليها ، ومن تلك الأقوال قول أرسطو حين سئل عن البلاغة فأجاب: حسن الإستعارة ، و قول آكثم بن صيفي : البلاغة الإيجاز كما قالوا أيضا إنها البصر بالحجة و المعرفة بمواقع الفرصة.

تعريفات إصطلاحية للبلاغة : عرفها أبو هلال العسكري بقوله البلاغة مأحوذة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها في كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن.

أما الفصاحة فذكر أنهم اختلفوا فيها فقال قوم إنها ماخوذة من قولهم أفصح فلان عن ما في نفسه إذا أظهره ، وعلى هذا ترجع الفصاحة والبلاغة إلى معنى واحد ،وقال بعض العلماء إن الفصاحة تمام آلة البيان فتكون في اللفظ وحده.[16]

---

[15] –عبد المتعالي الصعيدي، البلاغة العالية–علم المعاني، قدم له : عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، ص 04 .

[16] – أبو هلال العسكير، كتاب الصناعتين – الكتابة و الشعر ،تح محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية – ط 1 1317 هـ 19525 م ص 6 و ص 7 .

تعريف عبد القادر الجرجاني : البلاغة و الفصاحة عنده بمعنى واحد ولكنه مرة يجعلهما للفظ و مرة أخرى يجعلهما صفة للمعنى، وقيل انه لايرى البلاغة و الفصاحة في اللفظ ولا في المعنى وإنما هي عنده في نظم الكلام اي في الأسلوب[17]

تعريف الخفاجي : غرفها بقوله :الفصاحة الظهور والبيان ومنها أفصح اللبن إذا انجلت رغوته وفصح فهو فصيح قال الشاعر:

وتحت الرغوة اللبن الفصيح

... والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني . لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها إنها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً [18]

تعريف السكاكي : عرفها بقوله هي بلوغ المتكلم في تأدية النعى حدا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها و ايراد أنواع التشبيه و المجاز و الكناية على وجهها ثم قسم الفصاحة الى قسمين :

قسم يرجع إلى المعنى و هو خلوص الكلام من التعقيد اللفظي

---

[17] –عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية – علم المعاني ، ص 09 .

[18] – إبن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، نشرته دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، 1403 هـ ، 1982 م ص 58 و ص 59 .

وقسم يرجع إلى اللفظ المفرد و هو ان تكون الكلمة عربية أصيلة لا مما أحدثه المولدون و لا مما أخطأت فيه العامة و ان تكون سليمة من التنافر، و عليه تكون الفصاحة عنده لازمة للبلاغة.[19]

1 – المدرسة الكلامية الإعجازية :

أطلقنا هذا الاسم على هذه المدرسة لأن أصحابها من المتكلمين الذين خاضوا في

دراسة الإعجاز ، وكان للمتكلمين المعتزلة الحظ الأوفر في ذلك ومن أقدم هؤلاء المتكلمين المعتزلة : عمر بن عبيد و واصل بن عطاء والنظام .بحث المتكلمون مباحث واسعة في إعجاز القرآن من حيث بيانه وبلاغته ، وتمتاز أبحاثهم بدقة تفكيرهم و تعمقهم من قديم في مباحث البلاغة ، و هذا عرض موجز لبعض لمؤلفاتهم:

بيان إعجاز القرآن :

رسالة ألفها أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي(ت388هـ) تناول فيها مذهب الصرفة فرفضها كما قال أن الاعجاز راجع إلى الأمور المستقبلية ثم بين أن الاعجاز راجع الى البلاغة وبعد أن تعرض الى عجز العلماء قبله عن إدراك وجه الاعجاز شرع في الكلام عن محاسن الكلام البديع وهي عنده ثلاث : الرصين الجزل و الفصيح القريب السهل و الجائز الطلق

الرسل ، وقد حازت بلاغة القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة وفي أثناء ذلك حلل النصوص تحليلا بارعا وقد نبه الى وجه آخر للإعجاز و هو صنيع القرآن بالقلوب و تأثيره

---

[19] – السكاكي ، مفتاح اتلعلوم ، ضبطه و علق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ص 415 و 416 .

بالنفوس [20]ونلاحظ أن هذه الفكره هي التي دار حولها بحث عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة .

النكت في إعجاز القرآن للرماني (ت 386هـ) :

مؤلف هذه الرسالة علي بن عيسى الرماني ، وهو أحد أعلام المعتزلة في عصره وله مؤلفات كثيرة في التفسير واللغة و النحو وعلم الكلام ومن أهم مايميزه فغي مصنفاته مزج كلامه بعلم المنطق و قد كتب رسالته النكت في إعجاز القرآن جوابا على سؤال لشخص طلب إليه تفسير اعجاز القرآن في إجمال دون تطويل في الحجاج وهو يستهل الرسالة برد هذه النكت الى سبعة وجوه هي :

1 _ ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة

2 _ التحدي للكافة

3 _ الصرفة

4 _ البلاغة

5 _ الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية

6 _ نقض العادة

7 _ قياس القرآن بكل معجزة

ويجعل الرماني البلاغة في ثلاث طبقات عليا ووسطى ودنيا ، ثم يقسم البلاغة بعد ذلك الى عشرة أقسام : الإيجاز و التشبيه و الاستعارة والتلاؤم والفواصل و التجانس و التصريف

[20] – ينظر : بيان إعجاز القرآن للخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، حققها محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام ، دار المعارف – مصر ، ص 14 من مقدمة المحققين .

والتضمين و المبالغة وحسن البيان [21]، ثم يشرع المؤلف في تفصيل كل وجه مع التمثيل له من القرآن الكريم وقد أخذت هذه الوجوه الحيز الأكبر من رسالته .

إعجاز القرآن : للباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب (ت403هـ) :

موضوع الكتاب الإعجاز وقد سار فيه المؤلف على طريقة المتكلمين من ادحاض حجج المخالفين و الرد عليها و تفنيدها و مثال ذلك ما استهل به كتابه حينما تحدث عن المعجزة و تعريفها و التحدي و المعارضة ونفيه لنظرية الصرفة التي قال بها النظام . والباقلاني يحسم وجوه الاعجاز في ثلاثة أمور : إخباره بالغيوب وإيراد أخبار الأمم السابقة والأنبياء و الرسل مع أمية الرسول و البلاغة ، ويلخص وجه الإعجاز عنده فيقول عن القرآن الكريم : إنه بديع النظم عجيب التأليف، وفي أثناء تفصيل هذه النظرية تحدث عن أسلوب القرآن الذي يخالف وجوه النظم عند العرب فليس هو من الشعر ولا من أنواع الترسل بل هو أسلوب فريد [22] ثم أخذ في دراسة أنواع البديع كالتشبيه والاستعارة و وجوه المحسنات كالطباق و الالتفات و نحو ذلك ، وينفي أن تكون هذه الوجوه وحدها هي اعجاز القرآن لأنها مما يقدر البشر أن يتعلمه والتصنع له ومن هنا لايقال : إن التشبيه معجز و التجنيس معجز ، وانما يقال : إنهما معجزان بنظمهما و صوغهما الذي يسمو إلى الطبقة العليا من البلاغة .

إعجاز القرآن للقاضي عبد الجبار (ت415هـ) :

هو أبو الحسن الأسد أبادي قاضي قضاة الدولة البويهية و هو من أكبر متكلمي المعتزلة في القرن الخامس الهجري ، له كتاب المغني في أبواب التوحيد و العدل في عدة مجلدات ، وقد خصص الجزء السادس عشر منه لإعجاز القرآن و في هذا الجزء غقد مباحث للبلاغة و

---

[21] – ينظر : النكت في إعجاز القرآن للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، حققها محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام ، دار المعارف – مصر ، ص76 .

[22] – شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف – مصر ط 9 ، 1995 ، ص 109 .

الفصاحة انطلق فيها من رأي أستاذه أبي علي الجبائي و هو من علماء المعتزلة الذي ينقل عليه قوله : انما يكون الكلام فصيحا بجزالة لفظه وحسن معناه إلا أنه لم يرتض فكرة أستاذه لأنها لا تراعي صورة ترتيب الكلام ، و لذلك ذهب إلى أن البلاغة إنما تقع في نظم الكلام ، يقول في ذلك : واعلم أن الفصاحة لا تكون في أفراد الكلام و إنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة [23] و هو يمزج مباحثه البلاغية الممتعة بأسلوبه الكلامي في الرد على الخصوم و لا سيما الأشاعرة كالباقلاني .

2 – المدرسة الفلسفية :

المراد بها أمران :

أ _ دراسات نقدية تأثرت بالفلسفة اليونانية و تضمنت مباحث بلاغية طغت عليها هذه الصيغة .

ب – دراسات بلاغية كانت النزعة المنطقية سبيلها ومنهجها .

ومن أمثلة النوع الأول كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت337هـ) حيث حاول تطبيق ما فهمه من مقاييس البلاغة اليونانية عند أرسطوا على البلاغة العربية مضيفا الى ذلك ما تمثله من أفكار أخذها من الجاحظ و الأصمعي و ثعلب و غيرهم

و استطاع أن يصل الى الثمانية عشر محسنا التي ذكرألقابها ابن المعتز بثلاثة عشر محسنا منها : الترصيع والغلو وصحة التقسيم .....[24] ، و من أمثلة هذا النوع كتاب البرهان في وجوه البيات لابن وهب .

---

[23] – المرجع نفسه ، ص 116 .

[24] – المرجع السابق ، ص 92 .

ومـن أمثلـة النـوع الثـاني فهـو كمـا ذكـر مجمـوع المؤلفـات الـتي اتبعـت السـكاكي في منهجـه و تقـوم شـهرته غلـى القسـم الثالـث مـن كتابـه مفتـاح العلـوم قـد خصصـه لعلـم المعـاني و اليبـان و لواحقهمـا مـن الفصـاحة و البلاغـة و قـد اتبـع في كتابـه منهجـا منطقيـا يقـوم علـى التقسـيم والتبويـب لمباحـث البلاغـة كمـا فعـل في الاقسـام الاحـرى مـن كتابـه مفتـاح العلـوم حيـث اعتمـد المـنهج ذاتـه ، و قـد صـارت البلاغـة عنـده علمـا يخضـع لطرائـق البحـث في العلـوم الانسـانية الاخـرى مثـل الفلسـفة و المنكـق و الصـرف و النحـو ، رغـم أنـه أعطـى للبلاغـة شـكلها المنهجـي إلا ان اسـلوبه لم يخـل مـن التعقيـد و قـد يظهـر ذلـك في تعريفـه لانـواع البلاغـة ، و سـتأتي أمثلـة لهـا ، ثم جـاء بعـده الخطيـب اتلقـزويني و لكـص كتـاب المفتـاح في مختصـر سمـاه تلخـيص المفتـاح إلا ان القـزويني كـان اقـرب الى روح المدرسـة الادبيـة ، و قـدنال تلخيصه شهرة واسعة قديما و حديثا فلخه كثير من العلماء و منهم

سعد الدين التفتازاني حيث شرحه شرحين : المطول والمختصر ، كما شرحه تاج الدين السبكي 773 هـ و عنوان شرحه المعروف بعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح [25].

3- المدرسة الأدبية التذوقية :

و هي ذاك النمط الذي يعتمد بالأساس على تذوق النص الأدبي لاستنباط الأوجه البلاغية منه و ادراك محاسن الأسلوب ، لقد اجتهدت هذه المدرسة في ابراز جماليات اللغة شعرها ونثرها بعيدا عن جو الفلسفة والمنطق و الجدل و إن كان بعضها يمزج بين البحث البلاغي و دراسة اعجاز القرآن و من أبرز من يمثل ذلك أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين و ابن

[25] – نشر ضمن شروح التلخيص ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة – 1937 م .

رشيق القيرواني في كتابه العمدة في محاسن الشعر و أدابه و نقده و ابن سنان الخفاجي سر الفصاحة وابن الأثير ولكن واسطة العقد في هذا الاتجاه هو الامام عبد القاهر الجرجاني.

لقد أدرك دارسو البلاغة العربية هذا الاتجاه في دراسة البلاغة العربية و أشاروا إلى بدايات هذا الاتجاه عند عبد القاهر الجرجاني ت 471 هـ و ابن الأثير ت 637 هـ و غيرهم ممن نحا منحى الذوق الأدبي [26]

نظرية النظم و تطبيقاتها في النص الأدبي

من القضايا البلاغية قديما و حديثا لارتباطها باعجاز القرآن وإن وجدت مجالا لها في الشعر على صعيد التطبيق ، و قد مرت هذه الفكرة حتى أصبحت نظرية مرحلتين أساسيتين هما في نظرنا :

مرحلة النظم قبل عبد القاهر ، و مرحلة النظم بعد عبد القاهر وعلى هذا الأساس نحاول أن نشرح هذه النظرية :

أ _ النظم قبل عبد القاهر :

من أقدم المؤلفات في النظم كتاب نظم القرآن للجاحظ ت 255 هـ و أساس فكرته أن القرآن يخاطب كل مخاطب باللفظ الذي يناسب مقامه و أن القرآن حين يتجه بخطابه الى العرب الفصحاء يعمد الى الإيجاز ، فاذا عمد الى مخاطبة اليهود أطال و أطنب [27]، و قد أثر الجاحظ فيمن جاء بعده ، ثم تطور البحث في مسألة

---

[26] – محمد بركات حمدي أبو علي ، الصورة البلاغة عند بهاء الدين السبكي ، دار الفكر للنشر و التوزيع – عمان ط 2 ، 1403 هـ ، 1983 م ، ص 9 .

[27] – شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، ص 47 .

النظم فرأينا ابن قتيبة يشير اليها والنظم عنده هو سبك الألفاظ أو ضم بعضها إلى بعض في نظام دقيق و متآلف فيما بينها و بين المعاني فيجريان معا في سلاسة و عذوبة بحيث تخدم الألفاظ المعاني و تصورها أصدق تصوير .

و قد تناول الرماني هذه الفكرة في إطار ماكان يدعوه التلاؤم في الكلام الذي يجمع في أسلوبه بين جمال التأليف و جودة اللفظ و صفائه الحسي و استواء تقاسيمه ، يقول الرماني في ذلك : والتلائم في الطبقة العليا القرآن كله [28] .

ثم تناول مفهوم النظم الإمام الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن و هو يعني به : طريقة الكلام و أسلوبه و هو مقابل للشعر و السجع و الكلام المرسل . و كان القرآن كما يقول الأشاعرة معجزا بنظمه أي بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم[29] . و هذا المفهوم بعيد عن النظم عند الجرجاني غير أن الآراء التي اقتربت من النظم عنده هي ماجاء عند القاضي عبد الجبار (ت415هـ) ، حيث يقول : اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام و إنما تظهر في الكلام على طريقة مخصوصة و لابد مع الضم مع أن يكون لكل كلمة صفة وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم و قد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه و قد تكون بالموقع و ليس لهذه الأقسام الثلاث رابع ، لأنه إما أن تفيد فيه الكلمة أو حركتها أو موقعها و لابد من هذا الاعتبار في كل كلمة ثم لابد من اعتبار مثله في الكلما إذا انضم بعضها إلى بعض ، ثم يقول : ان المعاني و إن كان لابد منها فلا تظهر المزية فيها و إن كانت تظهر في الكلام لأجلها و لذلك نجد المعبرين يكون أحدهما أفصح من الآخر و المعنى متفق ... على أنا نعلم أن المعاني لايقع فيها تزايد فإذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عنده الألفاظ التي يعبر بها عنها ، فإذا صحت هذه الجملة فالذي به تظهر

---

[28] – الرماني ، النكت ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص 95 .

[29]– محمد أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص 89 .

المزية ليس إلا الإبدال به تختص به الكلمات ، أو التقدم و التأخر الذي يختص الموقع أو الحركات التي تختص الإعراب ، فبذلك تقع المباينة [30] .

ونلاحظ أن بعض كلام عبد الجبار يتكرر عند الجرجاني في عدة مواضع مثل الضم و المزية و ذلك يدل على استفادة عبد القاهر من عبد الجبار ، و بقي أن نشير الى أن مباحث النظم ارتبطت أيضا بالدراسة النحوية و لاسيما دراسة التراكيب فأنت تجد ذلك عند سيبويه في عدة مباحث كالتقديم و التأخير ، مثلا إذ إن مهمة النحو في نظر النحاة لا يقف عند حدود الاعراب بل هي أكبر من هذا و يوضحها أبو سعيد الصرافي حيث يقول معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ و سكناته و بين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها و بين تأليف الكلام بالتقديم و التأخير و توخي الصواب في ذلك و تجنب الخطأ.

النظم عند عبد القاهر الجرجاني :

استفاد عبد القاهر من جهود العلماء السابقين له و استطاع بعقلية النحوي و المتكلم و الأديب المتذوق أن يضع نظرية متكاملة الجوانب ، يقول الدكتور محمد مندور : ومن المؤكد أن ما كتبه نحاة العرب منذ سيبويه شيء يفوق الحصر ، وأن عبد القاهر أفاد مما كتبوه فائدة كبرى في دراسته التي انتهت به الى وضع نظريته في المعاني الإضافية أو بعبارة أخرى في النظم و الخواص التركيبة للعبارة .[31]

لم تعد كلمة النظم عند عبد القاهر غامضة الدلالة كما هي عند عبد الجبار بل ولم تعد عنصرا ثالثا لعنصري اللفظ و المعنى و من ثلاثتها تتألف البلاغة كما ذهب إلى ذلك الخطابي و إنما تحول النظم عنده الى مصطلح ذي مفهوم محدد ينبع من حيوية الدور الذي يقوم به

---

[30] – شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، ص 116 و 117 .

[31] – انظر محمد مندور ، نقلا عن : نظرية النظم و قيمتها العلمية في الدراسة اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني لوليد محمد مراد ، دار الفكر ،دمشق ، ط 1 ، 1983 ، ص 63 .

الإعراب في الكلام فالألفاظ كما يقول معلقة على معانيها و الإعراب هو الذي يفتحها و الأغراض كاملة فيها و هو الذي يتولى استخراجها [32].

تعريف النظم عند الجرجاني :

يعرف النظم بقوله ; اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها و تحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيئ منها [33] . و من هنا يتضح أن قيمة الكلام من الناحية البلاغية إنما يكمن في النظر إليه باعتباره مجموعة من الكلمات و العبارات مرتبط بعضها ببعض ارتباطا نحويا و بذلك فلا قيمة للفظة المفردة بلاغة و فصاحة ، ذلك أنك ترى الكلمة في موضع تروقك و تجد لها موقعا عجيبا في النفس ، ثم تراها في موضع آخر فلا تجد لها ذلك الفضل و لا تلك المزية ، فتبين أن البلاغة عائدة إلى نظم الكلام مع توخي معاني النحو .

أقسام النظم :

لما كان النظم هو توخي معاني النحو فقد درس الإمام الجرجاني الوجوه التي ينصرف إليها الكلام أي المعاني المتوخاة منه ، و بذلك أقام نظريته على ما يعرف فيما بعد بعلم المعاني ، فقد ميز الوجوه البلاغية لحالات الإسناد المختلفة فحلل المعاني التي ينصرف إليها الكلام في الذكر و الحذف و التعريف و التنكير و في التقديم و التأخير و الإضمار و الإظهار و في الشرط و الجزاء و في الحال و ما تفيده من

---

[32] – شفيع السيد ، البحث البلاغي عند العرب تأصيل و تقييم ، دار الفكر ، القاهرة ، ص 54 .

[33] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ص51 .

معـاني في مواضـع مختلفـة ، و في الفصـل و الوصـل ، وقـد توصـل للكشـف عـن الفـروق الدلالية الناشئة بين أساليب المعنى النحوي الواحد من الاختلافات في النظم [34].

أمثلة للتقديم و التأخير مع همزة الاستفهام :

يعـرض عبـد القـاهر أمثلـة مختلفـة مـع همـزة الاسـتفام ، تـارة يليهـا الفعـل و تـارة يليهـا الاسـم مبينـا مـا بينهمـا مـن دقـائق لغويـة ، فـإذا سـألت شـاعرا أأنـت قلـت هـذا الشـعر ؟ مقـدما الضـمير علـى الفعـل ، كـان الشـك في قائـل الشـعر أهـو المخاطـب أم لا أمـا الشـعر فـلا شـك فيـه و إذا سـألته : أقلـت هـذا الشـعر ؟ كـان الشـك في الفعـل و هـو نظـم الشـعر ، ومـن الأمثلـة القرآنيـة لهـذا الأسـلوب قولـه تعـالى علـى لسـان قـوم ابـراهيم له :(أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم) الأنبياء / 62

فليس المراد بالاستفهام حمل ابراهيم على أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، لأن اسم الإشارة يمنع هذا ، و لذلك كان جواب إبراهيم متسقا مع هذه الدلالة إذ يقول : (فعلها كبيرهم هذا).

أمثلة للحذف :

يقـول عبـد القـاهر عـن الحـذف : هـو بـاب دقيـق المسـلك لطيـف المأخـذ عجيـب الأمـر شـبيه بالسـحر فإنـك تـرى بـه تـرك الـذكر أفصـح مـن الـذكر و الصـمت عـن الإفـادة أزيـد للإفـادة [35] . و يعـرض بعـد ذلـك لأمثلـة كثيرة للحـذف مبينـا القيمـة البلاغيـة لـذلك ، موضـحا أسـبابه و أغراضـه ، فمـن دواعـي حـذف المبتـدأ : قيـام القرينـة عليـه و ذلـك

[34] – شفيع السيد ، البحث البلاغي عند العرب تأصيل و تقييم ، دار الفكر ، القاهرة ، ص 67 .

[35] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ص 146 .

كثير في الشعر بأن يذكر الشاعر شخصا و يقدم بعض ما يتعلق به ثم يقطع الكلام و يستأنف كقول الشاعر :

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تولت

فقد حذف المبتدأ في قوله : فتى غير محجوب الغنى ، و التقدير : هو فتى ..و قد جسن هذا الحذف لما ذكر من أمر هذا الفتى في البيت السابق .

و لقد اتسعت نظرية عبد القاهر لدراسة أغلب الظواهر الأسلوبية المنبثقة عن التراكيب النحوية في اللغة العربية و هي نظرية اعتمد فيها صاحبها على منهج علمي دقيق و حس فني نافذ جعلت بعض النقاد العرب المعاصرين يضعون نظرية عبد القاهر جنبا الى جنب مع ماتوصل إليه علم اللغة عند الغربيين ، يقول

الدكتور محمد مندور : وفي الحق أن عبد القاهر اهتدى في العلوم اللغوية كلها الى مذهب هو أصح و أحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوربا في أيامنا هذه و هو مذهب العالم السويسري فرديناردديسوسير.

النص الشعري و بلاغة الافتنان

1_ تعريف الافتنان في اللغة :

جاء في لسان العرب : افتن الرجل في حديثه و في خطبته إذا جاء بالأفانين و افتن في كلامه و خصومته إذا توسع أو تصرف ، و الرجل يفنن الكلام أي يشتق في فن بعد فن [36] و بذلك ندرك أن المادة : فنن تدل على الاختلاف و التفرع و التوسع .

2_ الافتنان بلاغيا :

ارتبط مصطلح الافتنان عند البلاغيين و المتأخرين من أصحاب البديعيات من سمة التضاد من جهة و من أغراض الشعر من جهة أخرى فقد عرفوه بقولهم : الافتنان هو أن يفتتن الشاعر فيأتي بفنين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد فآخر مثل النسيب و الحماسة و الهناء و العزاء [37]، غير أن بعض الدارسن المعاصرين يقدم مفهوما جديدا للإفتنان فهو عندهم لا يرتبط بمباحث بلاغية و نقدية و لا يتوقف معناه على ما أوردته كتب البديعيات المتأخرة فهو يدل على التوسع و التنوع و التوليد و غيرها من المعاني البلاغية و النقدية ، ولذلك يعرفه هذا الباحث بقوله : يمكن أن نصوغ تعريفا جديدا على أساس أن التضاد هنا فيما نرى يتسع ليشمل الاختلاف بكل أشكاله و تجلياته و يتجاوز الاقتصار على عنصر الجمع بين غرضين متضادين لينفتح على النص الشعري بكل مكوناته فنقول : الافتنان هو أن يفنن الشاعر نصه الشعري على مستوى البناء و المعاني و الصور و المعجم و الايقاع و بذلك تصبح كثير من المصطلحات و المفاهيم كالاتساع و التوليد و الابتداع ، و هي مصطلحات نقدية قديمة ، و الانزياح و العدول و التناص ، و هي مصطلحات حديثة داخلة في إطار الافتنان [38]، والافتنان سمة للكلام العربي الفصيح و هو غير مختص بالشعر و إن كان البلاغيون يميلون للتمثيل له بالشعر و الخطابة والرسالة ، يقول أبو سليمان المنطقي

---

[36] – انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة فنن .

[37] – محمد الأمين المؤدب ، معالم و عوالم ، ص 34 .

[38] – المرجع نفسه ، ص35 .

وفي النثر ظل من النظم و لولا ذلك ماخف و ما حلا و لاطاب ولا تحلى ، وفي النظم ظل من النثر ولولا ذلك ما تميزت أشكاله و لااختلفت بحوره و طرائقه و علائقه .[39]

وقد نظر علماء البلاغة الافتنان وتلمسوه في اللفظة الواحدة و ربطوه يتباعد مخارج الحروف ، يقول ابن سنان : و علة هذا واضحة وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من الصور و لاشك أن الألوان المتباينة اذا اجتمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه من الصفرة وفي هذا قال الشاعر : [40]

فالوجه مثل الصبح مبيض و الفرع مثل الليل مسود

ضدان لما استجمعا حسنا و الضد يظهر حسنه الضد

2_ الافتنان في النص الشعري :

يعد الافتنان أحد مكونات العمل الشعري لأنه يقوم على امتزاج مجموعة من العناصر كالإنتقال من معنى الى معنى و من لون الى لون و من إيقاع الى آخر يقول أبو تمام في وصف القصيدة من قصائده :

الجد و الهزل في توشيح لحمتها والنبل و السخف و الأشجان و الطرب

يعلق التبريزي على هذا البيت بقوله : يقول تصرفت في هذه القصيدة في جد وهزل ، و فيها طرب لمن مدحت و حزن لمن ذممت .

3_ الافتنان في الأغراض الشعرية :

---

[39] – المرجع السابق، ص 36 .

[40] – البيت نمن القصيدة المعروفة باليتيمة المنسوبة لدوقلة المنبجي ، انظر : القصيدة اليتيمة ، نشرها و قدم لها : الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط 3 1983 ، ص 30 .

أقل ما تبنى عليه القصيدة العربية المديح و النسيب ، وهما غرضان مختلفان و قد تبنى على أكثر من ذلك فيضاف إليها الرحلة و وصف الناقة و ما يتبعهما من وصف الحيوان و وصف المعارك و السلاح في سياق المدح ، و قد يجمع فيها الشاعر بين المدح و الفخر و الوصف ، ويرى حازم القارطاجني أن الافتنان في الأغراض أشد موافقة للنفوس الصحيحة الأذواق لما ذكرناه من ولع النفوس بالافتنان في أنحاء الكلام و أنواع القصائد [41] ومن هنا فضل الأصمعي بشار بن مروان بن أبي حفصة فهو أكثر فنون شعر و أقوى على التصرف في الجد و الهزل .

وقد أدرك الشعراء الجاهليون أهمية الافتنان فجمعوا بين غرضين شعريين أو أكثرعلى مستوى:

أ _ البيت الواحد :

يقول عنترة في معلقته منتقلا من النسيب الى الحماسة :

إن تغدفي دوني القناع فإنني طب بأخذ الفارس المستلئم

ويشبهه قول المتنبي :

عدوية بدوية من دونها سلب النفوس و نار حرب توقد

ب _ الأبيات المتعددة :

كقول عبد الله الهمام السلولي ليزيد بن معاوية حين دفن أباه و جلس للتعزية و قد جمع فيها بين التعزية و التهنئة :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا

لا رزء أصبح في الاسلام نعلمه كما رزئت ولا نعمى كنعماكا

41 - المرجع السابق ، ص

وفي معاوية الباقي لنا خلف إذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

ج ـ على مستوى القصيدة :

و ذلك في القصائد المفتتحة بالنسيب خصوصا و لقد نبه المرزوقي شارح الحماسة الى هذا النوع من الافتنان في معرض شرحه لهذين البيتين من الحماسة رقم 14 :

إنا محيوك يا سلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعوت إلى جل و مكرمة يوما سرات كرام الناس فادعينا

يقول المرزوقي :

وهذا الكلام ظاهره استعطاف لها و القصد به التوصل إلى بيان شرفه و استحقاقه ما يستحقه الأفاضل و الأشراف ، و لا سقي ثم و لاتحية ولا دعاء ولا مغاثة ، ألا كيف اشتغل بمقصوده من الافتخار فيمل يتلو هذا البيت [42] ، فأنت ترى أن الشاعر جمع بين الاستعطاف و الغزل و التودد الى هذه المرأة ، و بين الافتخار بالمكارم و جلائل الأعمال .

النص الشعري و قضايا الغرض والمعنى

[42] – المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، نشره أحمد أمين و عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، ط 1 1411هـ 1991 م مح 1 ص 101 و 102 .

إن مصطلح الغرض الشعري من أكثر المفاهيم النقدية و الأدبية غموضا و اتساعا لأنه مفهوم مفروض على القصيدة العربية و غير مستمد من روحها و لذلك عده الدكتور وهب رومية مفهوما بائسا وضريرا .[43]

إن عدم ضبط هذا المصطلح وفق رؤية نقدية واضحة جعل النقاد المعاصرين يرمون القصيدة العربية القديمة بالتفكك و الافتقار الى الوحدة العضوية ، و ممن ذهب الى ذلك الدكتور غنيمي هلال و الدكتور أدونيس [44] ، من الأسباب التي حملت بعض النقاد المعاصرين على الميل الى هذا الرأي فهمهم للسياق التاريخي الذي تم إبداع النصوص الشعرية القديمة على غير وجهه الصحيح .. ، وربما كانت مسألة البداوة و الحضارة من أبرز الأمثلة على ذلك .. و أسهم في تعميق ما اتهمت به (أي القصيدة الجاهلية) من تفكك بناء على سذاجة البدوي و بساطة تفكيره [45].

مصطلح الغرض في كتب النقد و البلاغة :

يرد المصطلح في الكتب القديمة بعدة معان أهمها :

1- **الفنون** : قال أبو عبيدة محتجا لجرير; كان أكثرهم فنون شعر ، وقال عن الأعشى : له تصرف في المديح و الهجاء و سائر فنون الشعر .

ومن النقاد الذين استعملوا الفن بمعنى الغرض الشعري ابن طباطبا و أبو الفرج و ابن خلدون و فسروا قوله تعالى : (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) بقول ابن عباس : في كل فن من الكلام .

---

[43] – وهب أحمد رومية ، شعرنا القديم و النقد الجديد ،سلسلة عالم المعرفة ، الكويت – عدد شوال 1416هـ مارس 1996 م ، ص 140 .

[44] – محمد أمين المؤدب ، معالم و عوالم ، ص 59 .

[45] – المرجع نفسه ، ص 63 .

2- الأبواب : عند أبي تمام : فقد قسم أبو تمام حماسته إلى عشرة أبواب [46]

و هي الحماسة ، و المراثي و الأدب ، و النسيب ، و الهجاء ، و الأضياف و المديح ، و الصفات ، و السير و النعاس ، و الملح ، و مذمة النساء . لقد أدمج أبو تمام بعض الأغراض في بعض لأنها من باب واحد كالسير و النعاس و فصل بين الهجاء و مذمة النساء لأن ما يهجى به الرجل غير ما تذم به المرأة .

3 _ البيوت (الأبيات) : قال القطامي :

ألم تر للبنيان تبلى بيوته وتبقى من الشعر البيوت العوارم

قال ابن سلام في شرحها : بيوت الشعر أربعة : فخر ومدح و نسيب و هجاء .

4 _ الأركان :

جاء في العمدة : بني الشعر على أربعة أركان :المدح و الهجاء و النسيب و الرثاء

5 _ الأغراض : استعمل مصطلح الأغراض عند قدامة و الآمدي و كان الرماني يقرن التشبيه بالوصف يقول : أكثر ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة : النسيب و المدح و الهجاء و الفخر و الوصف ثم يدخل التشبيه و الاستعارة في الوصف .

كما استعمل بمعنى الغرض عدة مصطلحات منها :

المقاصد عند الجرجاني و الأقسام عند العسكري و المعنى عند ابن سلام ، حيث يقول عن امرئ القيس هو أول من فصل بين التشبيه و المعنى بمعنى غرض القصيدة و قد جعل العسكري كتاب الشعر عنوانا أطلق عليه ديوان المعاني و قال في مقدمته : جمعت في هذا

---

1 – ص [46] – شرح ديوان الحماسة ، نشره أحمد أمين و عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، ط 1 1411هـ 1991 م مح 7 .

الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأروع ما قيل في كل نوع من أعلام المعاني و أهمها و جعله اثني عشر بابا .

مصادر و مراجع :

إبراهيم نادن : الوعي بإشكالية المنهج في الدراسات النقدية العربية المعاصرة: التشخيص وآفاق الحلول ، مقال نشر في: مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد 37 الصفحة 89. العام الخامس – العدد 37 – يناير – 2018 .

ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، نشرته دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، 1403 هـ ، 1982 م

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ، ج7،

أبو هلال العسكير، كتاب الصناعتين – الكتابة و الشعر ،تح محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية – ط 1 1317 هـ 19525 م .

الرماني النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، حققها محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام ، دار المعارف – مصر .

الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى – 1419 هـ ، 1998 م ، ج 2 ، .

السكاكي ، مفتاح اتلعلوم ، ضبطه و علق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت .

السيد الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، تحقيق و دراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، د . ط ، القاهرة

سـيد قطـب ، النقـد الأدبي أصـوله و مناهجـه ، دار الشـروق ، ط 6 ، 1410 هـ – 1990 م .

الشـافعي ، الرسـالة ، تـح احمـد محمـد شـاكر ، مطبعـة مصـطفى البـابي الحلـبي ، ط 1 ، 1358 هـ – 1940 م ،

شـفيع السـيد ، البحـث البلاغـي عنـد العـرب تأصـيل و تقيـيم ، دار الفكـر ، القـاهرة .

شوقي ضيف ، البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف – مصر ط 9 ، 1995 .

عبـد القـاهر الجرجـاني ، دلائـل الإعجـاز ، قـرأه و علـق عليـه : محمـود محمـد شـاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

عبد المتعالي الصعيدي، البلاغة العالية-علم المعاني،.

الفـيروزز أبـادي، القـاموس المحـيط ، مؤسسـة الرسـالة ، – بـيروت ، الطبعـة الثامنـة 1426هـ ، 2005 م

محمـد الأمـين المـؤدب ، معـالم و عـولم في بلاغـة الـنص الشـعري القـديم – مؤسسـة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر.

محمـد بـاديس ، مفهـوم الـنص و قراءتـه في الفكـر العـربي البمعاصـر رسـالة دكتـوراه بإشـراف الـدكتور عبـد الوهـاب مـيراوي ، جامعـة أحمـد بـن بلـة – وهـران 1438 *- 1439 هـ – 2016 – 2017 م

وليـد محمـد مـراد نظريـة الـنظم و قيمتهـا العلميـة في الدراسـة اللغويـة عنـد عبـد القـاهر الجرجاني ، دار الفكر ،دمشق ، ط 1 ، 1983 .

وهـب أحمـد روميـة ، شـعرنا القـديم و النقـد الجديـد ،سلسـلة عـالم المعرفـة ، الكويـت – عدد شوال 1416هـ مارس 1996 م .